

ظاهره الواضح .

وسواء كان المستحسن مستحسن جماعة أو مستحسن فرد من محوس أو متخيل لا يمكننا تليل وجه الاستحسان في كل شيء ولكن نعلم ان العلة العامة في استحسان الاشياء هي مناسبة تقدر في النفوس . ونعلم ان استحسان كل شيء علة محبته والاهتمام به على مقدار درجة المحبة (انلها درجات) . ونعلم ان هذه الاستحسانات من حيث هي - طبيعية في النوع . ونعلم انها هي التي أوصلت مصانع الانسان الى هذه الصورة الباهرة الساحرة . ونعلم ان هذه المصانع من المميزات العظيمة لهذا النوع . ونعلم ان الانسان سيتسمى رقيه مادام يستحسن ويسمي وراء ما يستحسن بهتمام يسوق ، وأمل يقود ، وعزم يعين .

باب التوسل بالتعليم

شكوى الامهات من تربية البنات

لما نشر المقطم شكوى نساء الانكليز من تربية بناتهن في هذا العصر طلب ان يعرف رأي الامهات في بناتهن في مصر فكتب اليه من بعضهن الشكوى في إثر الشكوى من سوء حال تربية البنات المتعلمات وكونهن لا يحفظن بغير اللهو والزينة والمزف باليانو ونحو ذلك من الترهات ، ولم تصادف هذه الشكوى اقل اهتمام من البنات ولا دفاع عن أنفسهن وقد توالى الحث عليهن من المقطم وكثر الترغيب حتى جاءه رسالتان من بلدين قال انه لم يرد منهما شكوى من الامهات إحداهما بامضاء « ابنة قبطية » والثانية بامضاء « ابنة شاكرا » وغوى الرسالتين واحد وهو ان الذنب في كل ما تشكو منه الامهات عليهن وعلى الآباء في عدم العناية بتربية البنات والاعتراف بأن التعليم لا يفي عن التربية شيئاً وان كان في نفسه نافعاً .

ولا يزال المقطم يثير كوامن الرغبات ، ويحرك سواكن هم البنات ، وتظن انه اذا ثارت الكنائس ، واثرت الدفائن ، وقار في الجدل الثور ، وحصل ما في الصدور ، فانه لا يكتب في الجرائد شيء يخرج عن معنى ما كتب الا ان تقتجر بنت بأنها أصلحت

من بيت أبها ما كان فاسدا ، ونظمت ما كان محتلا ، أو تفتخر ام . بأن بنتها كذلك .
وسواء كتب هذا أو بقي الفريقان متفقين على سوء تربية البنات ، وعلى كون القنب
في ذلك على الآباء والامهات ، فإن الحقيقة في مجموع الشعب المصري لا تظهر بمثل
هذه الرسائل لاسيما مع الظن الراجح بأن أكثر صواحبها من السوريات ثم من القبط ،
والسوريات هن أخلاق وراثية وعادات تقليدية ليست للمصريات وان كانت هجرتهن
الى مصر من زمن بعيد ويربى بناتهن في مصر وتعلمن في ، وأما نساء القبط وبناتهن
فيشاركن المسلمات المصريات في بعض الشؤون ويفارقهن في بعضها ، ومسافة الخلاف
في التعليمات من الطائفتين أوسع فإن القبطيات المتعلمات يمزقن الحجاب ويحضرن مجالس
الرجال في زيارتهن كنساء الأفرنج بلا فرق فلا بد أن يكون لذلك أثر في سيرتهن لا يعرف
في المسلمات اللواتي هن أكثر أهل البلاد ،

ويوجد سبب آخر للخلاف حتى في بنات الطائفة الواحدة وهو اختلاف معاهد
التعليم فإن من البنات المتعلمات من تعلمت في مدارس الحكومة ومنهن من تعلمت في
مدارس الجزويت أو الفرير ومنهن من تعلمت في مدارس البروتستانت الأمريكية
أو غيرهم ومنهن من تعلمت في المدارس الأهلية الإسلامية أو القبطية . ولكل نوع
من هذه المدارس تأثير خاص في نفوس من يتعلم فيها يحدث خائفا كبيرا في الاخلاق
والعادات والريجات

انظر الى هذه الفصول بين طبقات الامة المصرية هل تجد مثلها في انكلترا التي
يحاولون في هذه المقام ان يسلكوا طريقها في اختيار حال البيوت ومعرفة تأثير التربية
في البنات . الامة هنالك واحدة وللمدارس طريقة واحدة وللتربية العامة نظام واحد
فاذا شكوا بعض نساء الانكليز من تربية بناتهن فلك أن تصير شكواهن ميزانا للتربية
في الامة وان تقول ان ما يصدق على هؤلاء يصدق على من في طبقتهن فاذا رأيت الشكوى
من جميع الطبقات فلك أن تحكم على الامة في مجموعها بما تضمنته الشكوى حتى اذا
استثني بعض الافراد كان ذلك لاسباب خاصة فان القواعد الاجتماعية لا تستغرق جميع
أفراد الامة والشذوذ فيها مطرد

اذا سألتنا عن حال البنات المتعلمات في البيوت هل هن قرة عين لامهاتهن أم لا

فلا بد لنا من معرفة الجواب عن ذلك من الرجال المعلمين المختبرين ، والنبي يقرب من النظر ويؤيده الخبر ان تعلم البنات في مصر سطحي كبقولون وانه عندهن ضرب من ضروب الزينة فهو في الغالب يشغلهن عن مساعدة امهاتهن على تدبير المنزل وخدمة البيت ومنهن من يعتقدن انهن ارفع منزلة من ذلك . اما حال الامهات معهن فيختلف باختلاف الطبقات فالبيوت الفضية يرضى الامهات فيها ان يرين بناتهن مشغولات بالزينة في جميع الاوقات وان يكن متمازات بمعرفة مالا يعرفه سائر البنات من اتقان اللغات الاجنبية واحسان العزف بالبيانو والتفهن في بدع الزينة ، ويعتقدن ان هذه المزايا هي المرغبات الكبري لبريدي الزواج ، والاسباب الصحيحة للدمرة والابتهاج ،

وأما البيوت التي يحتاج فيها لمساعدة البنات والتي يعسر على أمهاتها وأقاربها من مساعدتهن على تدبير المنزل وتربية الاطفال ولكنهن يكتمن ذلك في الغالب ولا يبدنه الا ان يسهل عليهن اطلاعه على عوراتهن ، ووقوفه على مساويهن ،

اعتذر بعض الرجال عن البنات بمثل ما اعتذر به الكاتبان صاحبنا الرسالتين في المقدم بأن الذنب على الوالدين لاعلى البنات فانهما يعلمان بناتهما الا انهما لا يريانها وحسن الحال في المعيشة وكل أعمال الحياة يتوقف على التربية أكثر من توفقه على التعليم لاسيما تعليم المدارس الذي أكثره فيها لاعمل فيه ، إذ بالتربية يكون عمر بن الاعضاء على العمل ، وبالتربية تتكون الاخلاق والعادات الحاركة على الارادة . والارادة هي التي تنفذ ما يقضي به العلم ويظهر وجه المصلحة فيه فن لا تربية له لا ينفعه علمه الذي تعلمه في مدرسة العلم ولا علمه الذي تعلمه في مدرسة الوجود لان العلم عنده يكون صورة خيالية تلوح في ذهنه ثم تغيب ،

وأقول ان هذا العذر على صحته لم يصب موقعه من تربية البنات المتعلمات لأن القصد من تعليمهن اصلاح البيوت التي أفسدها جهل أمهاتهن فاذا كان علم المدرسة يفيد البنت الكسل ، ويزيدها اعراضا عن العمل ، وينقض اليها عادات أهلها وقومها نافعة كانت أو ضارة ، ويجب اليها تقليد قوم آخرين في الزينة والترف وان أعجز الوصول اليها أباهوا وأمها _ فلا شك ان هذا التعليم سم قاتل ، وبلاء نازل ، وان تركه واجب ،

ومقاومته ضربة لأزب ،

السبب الحقيقي في سوء حال البنات المتعلقات وسوء حال غير المتعلقات هو - كما قيل - سوء التربية العامة أو ترك التربية الصحيحة النافعة، ولكن أليس من الضروري ان يكون سوء الأخلاق الذميمة ، وقتك العادات الرديئة ، أقل تأثيراً في نفس المتعامة منه في نفس غيرها ؟ أليست فائدة المسلم الكبرى مساعدة التربية لان المتعلم يحكم على ما عليه الناس بغير ما يحكم به الجاهل فيميز بين الضار والنافع ، والصالح والفساد ، أليس التعلم هو تربية للعقل الذي هو أفضل القوى النفسية . فاذا امتازت البنت على أمها بالعقل وصحة الحكم على الامر وعرفت من الحقوق ما لا تعرف ، وساوتها في ضعف الارادة ، والخضوع لسلطان المادة ، أليس من المعقول ان يتنازع ما به الامتياز وما به التساوي فيقوى هذا تارة وهذا تارة ويكون ترجيح العقل فيما غلب فيه مبدأ دخول الاسلح المطلوب ؟؟

بلى ان اصلاح حال الامم يجري في هذه السبيل ولو كان التعليم في هذه البلاد يقصد به الى اصلاحها لارتقت في الاخلاق والاعمال كما ارتقت في التعليم على أكثر بلاد المشرق . والامر بخلاف ذلك فان أخلاق الناس في كل بلاد نعرفها أرقى من أخلاق أهل هذه البلاد كما ان عاداتهم أمثل من عاداتهم ، على ان التعليم هنا أكثر انتشاراً منه في تلك البلاد التي نضنها والمصريون الذين سافروا الى تلك البلاد يعرفون هذا وينطقون به . وأعجب من هذا ان أكثر الفساد والفسجور لم ينتشر في اكناف هذه البلاد ويتخلل في أحشائها الا بالمتعلمين فكانهم لم يتعلموا لاجل العمل الا شرب الخمر ولعب الميسر والتفنن في الزينة والانغماس في الشهوة البهيمية حاشا نفر ايمدون على الا ناملهم الذين أفادهم العلم وحدثهم من الوفاء المتعلمين

السبب في هذا ان العلم الذي يعلم في المدارس المصرية - سواء كانت للحكومة أو للاجانب أو للاهلين - لم يقصد به الى إصلاح النفوس وارتقاؤها وجعل المصر بين سعاداء أعزاء فان مثل هذا القصد لا يأتي الا بمن يفارون على الامة ويرون سعادتهم بسعادتها وعزهم بعزها ، ورؤساء الحكومة المصرية ليسوا كذلك ، والجزويت والفرير والامر يمكن ليسوا كذلك ، ومنشئوا المدارس الأهلية كان يجب ان يكونوا كذلك ولكنهم ليسوا كذلك ، وهذا شيء يعرفه كل أهل البصرة في مصر وربما تشرحه في مقالة أخرى

تبين من هذا ان قلة استفادة البنات من التعليم سببها انهم يقصد به اصلاحهن ولا
إعدادهن لاصلاح بيوتهن فان هذا التعليم جاء من الافرنج وزمامه بأيديهم في مدارسهم
ومدارس الحكومة التي هم قوام عليها (والمدارس الاهلية مقلدة لهذه المدارس تقليداً عمى
أعم) وإنما يقصد الافرنج جذب نساء هذه البلاد الى النطق بلغاتهم ، والتزبي بأزياء
نسائهم ، واستحسان عادات قومهم وتعميم شؤونهم ، ليقبضوا من صدور الامة حب
جنسها ووطنها ويقطعوا جميع روابطها الملية فتكون طمعة لهم . ووهن تراد انتفع بتعليمهم
من ذكر واثني وصلح حاله فاعلم ان ذلك كان بمعونة استمداد فطري عظيم وتربية محمودة
وتوفيق الهى أمام ذلك ووراءه

والنتيجة انه لايرجى ان نستفيد من تعليم البنات ولا تعليم الذكور ما يصلح به
شأننا وترتقي بأمتنا الا اذا وجدت عندنا مدارس يتولى ادارتها رجال يهمهم إصلاح
الامة وإعلاء شأنها . وقد وفق القبط الى هذا أكثر مما وفق المسلمون ، فاذانهمضت
بهؤلاء الهمة الى إنشاء مدرسة كاية تناط ادارتها برجال الجمعية الخيرية الذين اثبتوا اننا
ببنايتهم على خدمة الامة انهم خير رجالها فبشرهم بالنجاح العاجل ، والخير الآجل ،
والا كانوا على خطر عظيم ربما لا يتهبون له الا بعد فوت الفرصة ، ووقوع النعمة ،
والامر لله العلي الكبير

أشارت على السيد

في التقرير بط

(ارشاد الالباء * الى طريق تعاليم الف با)

في أيدي الناس ألوف من الكتب المؤلفات في العلوم والفنون ولكن أكثرها
متشابه لأن بعضها في الغالب منقول من بعض مع اختصار محل أو غير محل وزيادة
ضارة أو نافعة وكيفما كان هذا التأليف فهو تقليد من المتأخر للمقدم منهم من أحسنه
ومنهم من أساء فيه وسواء كان التقليد متقناً أو غير متقن فهو ليس من العلم في شيء
واقدم لا يكون عالماً ولا مفيداً للعلم ولا مستفيداً له وانما ينتفع بكلام العلماء ومباحثهم